النفس الإنسانية في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد

أ .د/ أحمد عباس البدوي

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوع " النفس الإنسانية في القرآن الكريم" ودراستها دراسة موضوعية من نواحي شتى.

حيث بيّنتُ مفهوم النفس في اللغة ومفهومها في المدلول القرآني، وظهر لنا أن النفس تُطلق ويراد بها الإنسان نفسه.

ثم بيّنتُ تكريم الله تعال لهذه النفس وتحملها المسؤولية الفردية ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[المدثر:٣٨].

كذلك تناول البحث أنواع هذه النفوس، فمنها: الأمارة واللوامة والمطمئنة، كما تناول تزكية النفس وعوامل هذه التزكية.

وفي نهاية البحث ذكرنا مصير هذه النفس ومآلها التي تؤول إليه وهو الموت، ثم البعث والحساب، وأخيراً المستقر الأبدي إما إلى جنة خالدين فيها أبداً، وإما إلى نار مستقرين فيها أبداً، كل ذلك من خلال آيات القرآن الكريم وبيانها، وما صح عن رسول الله ﷺ وما فهمه واستنبطه علماء الأمة، وما فتح الله به علي.

ABSTRACT

This research provided a subjective study for (The human soul in the Holy Quran) in many respects .The research clarified the definition of The human soul in the arabic language and in the Holy Quran .In addition to that, the research emphasized on the honoring of Allah of the human being soul, and each soul bears its own individual responsibility.

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) [المدثر:٣٨], " Every soul, for what it has earned, will be retained"

The research also studied the three types of the human soul in the Holy Quran : the commanding soul , the soul that blames ,and the soul at peace. The research also studied the purification of the soul, and its main factors

Finally the research indicated the destination of the human being soul ,which is death, and then resurrection after death, judgement and finally immortality in heaven or hell , all that in the light of the Holy Qur'an And Hadith .

بسم الله الرحمن الرحيم

- **مقدمــة :**

الحمدلله الذي خلق الإنسان علمه البيان، وكرّمه بأن خلقهُ في أحس تقويم وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلاً، فله الحمد والشكر لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه.

والصلاة والسلام على خير خلق الله الذي بعثه ربه رحمة للعالمين، سيدنا محمد بن عبدالله الذي قال الله عز وجل في حقه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به واتبعوه، فزكت نفوسهم وسلمت قلوبهم، فنالوا رضا رب العالمين، أما بعد...

فكثيراً ما استوقفتني كلمة "النفس" عند ورودها في آية من آيات القرآن الكريم وقد وردت بأساليب مختلفة مفردة ومجموعة ومُضافة، كما وردت في القرآن الكريم في أكثر من مائتي وخمس وتسعين آية.

ولاحظت أنها وردت أيضاً في مقام المدح وفي مقام الذم، وكذلك ارتباطها بكلمة "التزكية" وصلتها بالنفس الإنسانية .

لذا رأيت بعد استخارة الله عز وجل أن أكتب بحثاً في هذا الموضوع راجياً من الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد لأستفيد أولاً منه، كما أرجو أن يستفيد من يطلع عليه من القراء الكرام.

وعنونتُ له بعنوان :

(النفس الإنسانية في القرآن الكريم - دراسة موضوعية)

وبرغم إن كلمة النفس وردت في القرآن الكريم - كما ذكرتُ سابقاً- بأساليب متعددة وذهب العلماء في بيان معانيها إلى مفايم شتى، فإني سأعالج هذا الموضوع من خلال آيات القرآن الكريم و السنة النبوية، وما ذكره العلماء في هذا الشأن - أعني علماء التفسير – وما اطمئنّ إليه قلبي مما أورده العلماء المعاصرون في دراساتهم لعلم النفس، وما صح في ذلك من العلم التجريبي من حقائق، فإن الحقيقة العلمية لا تتعارض مع الشرع الحنيف، والحق واحد لا يتعدد وهو أحق أن يُتبع. والله المستعان.

وقد رأيتُ أن تكون الخطة التي سأعالج من خلالها هذا الموضوع تتكون من أربعة مباحث، تحت كل مبحث ثلاثة مطالب، إضافة إلى المقدمة والخاتمة.

خطة البحث:

المبحث الأول: مفهوم النفس الإنسانية، وتحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مفهوم النفس في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مكانة النفس الإنسانية عند الله تعالى.

المطلب الثالث: المسؤولية الفردية للنفس الإنسانية.

المبحث الثاني: أنواع النفس الإنسانية، وتحته ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: النفس الأمَّارة .

المطلب الثاني: النفس اللوامة.

المطلب الثالث: النفس المطمئنة.

المبحث الثالث: تزكية النفس الإنسانية وأنواعها، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: مفهوم التزكية وأنواعها.

المطلب الثاني: وسائل تزكية النفس.

المطلب الثالث: وسائل تدنيس النفس.

المبحث الرابع: مصير النفس الإنسانية وأنواعها، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الموت .

المطلب الثاني: البعث بعد الموت والحساب.

المطلب الثالث: المصير إما إلى جنة أو إلى نار.

الخاتمة .

الفهارس.

المبحث الأول: مفهوم النفس الإنسانية

▪ المطلب الأول: مفهوم النفس في اللغة والاصطلاح.

مفهوم النفس في اللغة : جاء في مختار الصحاح: (النَّفْسُ) الرُّوحُ، يُقَالُ: خَرَجَتْ نَفْسُهُ. وَالنَّفْسُ الدَّمُ، يُقَالُ: سَالَتْ نَفْسُهُ. وقال إبراهيم النخعي : ما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه[1].

وَالنَّفْسُ الْجَسَدُ، يَقُولُونَ: ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ فَيُذَكِّرُونَهُ لِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِهِ الإنسان.

وَ (نَفْسُ) الشَّيْءِ عَيْنُهُ يُؤَكَّدُ بِهِ، يُقَالُ: رَأَيْتُ فُلَانًا نَفْسَهُ وَجَاءَنِي بِنَفْسِهِ. و (النَّفَسُ) بِفَتْحَتَيْنِ وَاحِدُ (الْأَنْفَاسِ).[2]

والنفس الإنسنية في المفهوم العام:

(كائن خُلق في أحسن تقويم يجمع بين طبائع الجسد الطينية وخصائص الروح النورانية)[3]. وفي معنى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ [النساء:١] يقول صاحب تفسير المنار بعد أن أورد كثيراً من آراء المفسرين حول مفهوم النفس: (أما حقيقة النفس التي يحيا بها الإنسان وتتحقق وحدة جنسه على كثرة أصنافه فقد اختلف فيها المسلمون كما اختلف فيها من قبلهم، ومن بعدهم، فقال بعضهم: هي عرض من أعراض البدن لا استقلال لها بنفسها، بل هي الحياة. وقال

---

١ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ٣٦٩/١، ط١، دار الشعب، القاهرة.

٢ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تح:يوسف الشيخ محمد، ٣١٥/١-٣١٦، ط٥، المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩٩م.

٣ الإنسان والخلافة في الأرض، محمد أمين جبر، ص١٣٨، ط١، دار الشروق، بيروت.

الجمهور: بل هي جوهر، قال بعضهم: مادي، وبعضهم إنه مجرد عن المادة. وقيل: هي جزء من البدن، وقيل جسم مودع فيه).[1]

أما مفهوم النفس في المدلول القرآني فيتمثل في الآتي:

إن هذه الكلمة " النفس " وردت في القرآن الكريم في أكثر من مائتين وخمس وتسعين آية ، وأنا هنا لا أريد أن أستقصي هذا العدد الوفير من الآيات القرآنية، فإن مجال البحث لا يسمح بهذا، ويمكن لمن أراد الاستزادة أن يرجع إليها في مظانها.

فهذه الكلمة " النفس " منها :

أولاً: ما يتعلق بذات الله تعالى وأوصافه ، كقوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ...﴾ [المائدة:١١٦] وقوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:٤١] ومنها قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤] ، وغير ذلك كثيرمما يتعلق بذات الله وصفاته سبحانه وتعالى.

يقول الدكتور عدنان الشريف: (ولا نسمح لأنفسنا ولا ننصح أحداً بأن يبحث في ذات الله تعالى، وإلا أُصيبَ بالضياع والدوران في حلقة مفرغة تُتعب العقل والمنطق دون جدوى، وذلك ما فعله بعض الفلاسفة، فالمولى عرَّف ذاته بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] والقاعدة النبوية تقول: " لا تفكروا في الله وتفكروا في خلق الله "[2])[3]

ومن صفات الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:

---

١ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٦٨/٤، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠ م

٢ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ٦٦/٦، ط١، دار السعادة، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣ من علم النفس القرآني، عدنان الشريف، ص٣٦-٣٧، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٤م.

٢٨] ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]. فهو سبحانه الجبار والمنتقم، فينبغي للعاقل المؤمن أن يحذر هذا ويتجنب غضبه ويرجو رحمته ويخاف عقابه.

ثانياً: من مدلولات النفس في القرآن الكريم أنها جاءت بمعنى الروح، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٨٥] وكذلك لا مجال للبحث عن كنهها وماهيتها، بل يُسند ذلك إلى خالقها سبحانه وتعالى، وعلى ذلك يكون البحث والتقصي في القسم الثالث من مدلولات النفس في القرآن الكريم، وهي الآيات التي تكلمت عن النفس الإنسانية.

إن الناظر في آيات القرآن الكريم يرى إطلاق كلمة النفس تفيد الإنسان كله، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] يقول البغوي - رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن نفخ فيها الروح.

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع)[١].

وفي بيان هذه الآية نفسها يقول صاحب تفسير روح المعاني: ("وفي أنفسكم" أي في ذواتكم آيات إذ ليس في العالم شيء إلا وفي ذات الإنسان له نظير يدل مثل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر

١ تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النمر وآخريْن، ٣/٣٧٥، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م.

البهمة والتركيبات العجمية والتمكن من الأفعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة وآيات الأنفس أكثر من أن تحصى وقيل : أريد بذلك اختلاف الألسنة والصور والألوان، رواه عطاء عن ابن عباس وقيل : سبيل الطعام وسبيل الشراب والحق أن لا حصر)[1].

وهذا يُفيد أن إطلاق النفس مراد به ذات الإنسان نفسه كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...﴾ [التحريم:٦] حيث ذكر أهل التفسير لها معانٍ عدة كلها لم تخرج عن إن المأمور بالوقاية من النار هو الإنسان نفسه بكامل هيئته المتقدمة الذِّكر، ومن هذه المعاني التي ذُكرت: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ بِفِعَالِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ بِوَصِيَّتِكُمْ إِيَّاهُمْ﴾[2]. ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...﴾ [الأعراف:١٨٩] والنفس الواحدة هي آدم عليه السلام أبو البشر، وزوجها هي حواء أم البشر، فالنفس الواحدة هي المصدر الأول للإنسان وهي النطفة التي هي - كما يقول العلم الحديث – خلية واحدة حية.

يقول الأستاذ عبد الرزاق نوفل: (أثبت العلم إن الإنسان يتكون في أصله من خلية واحدة، هي الخلية التي تُكوّن الصُّلب من العظام، وتصف الصُّلب من الغضاريف والرخو من اللحم، وهي نفسها تُكوّن اللزج من الأنسجة والسائل من الدماء، وتكون نفسها طبقات الجلد الرقيقة وأهداب العين

---

١ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ٩/٢٧، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت

٢ أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، ٣٠٠/٤، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

الدقيقة...إلخ) [1].

وعليه فإن إطلاق النفس يدل على الإنسان لورود الآيات الكثيرة في هذا المعنى كما في قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ [الآية:٣٢] وعلى هذا المدلول القرآني للنفس سيكون هذا البحث بإذن الله.

- **المطلب الثاني: مكانة النفس الإنسانية عند الله تعالى.**

النفس الإنسانية مُكرمة عند الله تعالى لها حقوق وعليها واجبات، وهذا التكريم الذي حبا الله به الإنسان وَرَد في آيات كثيرة، تدل على تكريم الإنسان وإبراز مكانته بين المخلوقات الأخرى، ومن مظاهر هذا التكريم:

١. خلقه في أحسن تقويم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤] (أي خلقنا جنس الإنسان كائنا في أحسن تقويم وتعديل، ومن هذا الحُسن والتقويم الذي خلق فيه كما قال المفسرون: إن الله خلق كل ذي روح مكبا على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده)[2].

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ...﴾ [السجدة:٧] فيه إشارة إلى أن الله قد جعل الإنسان مهيئاً بما أعطاه من خصائص أن يبلغ مدى عالياً في الرفعة والمقام السامي عند الله تعالى، والتقويم جعل الشيء عدل وتسوية، فليس تقويم الصورة الظاهرة للإنسان هو المعتبر عند الله تعالى

---

١ الإنسان والخلافة في الأرض، ص٥١، ط١، دار الشروق، القاهرة.

٢ فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ٤٦٥/٥، ط١، دار الفكر، بيروت.

بل المعتبر هو السلوك القويم، فكم من الناس يُعجبك مظهره ولكنك إذا نظرتَ في سلوكه تغيَّرت نظرتك إليه، فالله تعالى خلق الإنسان كامل الخلقة من أول لحظة ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ﴾[ص:٧١] ثم نفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته تكريماً لهذا المخلوق، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[ص:٧١-٧٢] .

فتكريم الله تعالى للنفس الإنسانية أو قُل للإنسان على حسب ما ذكرنا في مدلول الآيات القرآنية للنفس الإنسانية من أهم مظاهر هذا التكريم.

٢. خلقه على فطرة الإسلام، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[الروم:٣٠] .

٣. ومن مظاهر هذا التكريم أن أوكل الله سبحانه وتعالى إلى الإنسان وظيفة سامية في هذه الحياة الدنيا، ألا وهي وظيفة الخلافة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة:٣٠] .

٤. حمل الإنسان للأمانة التي عُرضت على السموات والأرض والجبال فأشفقنَ من حملها لثقلها وحملها الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾[الأحزاب:٧٢] .

٥. ومن أوجه تكريم الله للإنسان أن سخّر له الكون وما فيه ليستفيد من برِّه

وبحره وسمائه ﴿اللَّهُ الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَـاء فَأَخْرَجَ به مِنَ الثَّمَرَات رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِـأَمْرِه وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ* وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُـمُ اللَّيْـلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْـصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[إبراهيم:٣٢-٣٤] .

٦. زيادة على ماتقدم أكرم الله الإنسان بأن أعطاه كامل الحرية ليختار طريقه في هذه الحياة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّـا كَفُورًا ﴾[الإنسان:٣] فهو يستطيع –بتوفيق الله- في سلم العبودية لله ليبلغ درجات الكمال الإنساني، وبهذا يكون هذا الإنسان مُكرم عند خالقه بكل أنواع التكريم، فما عليه إلا حمده وشكره ليزداد من هذا التكريم ﴿لَـئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ...﴾[إبراهيم:٧].

- **المطلب الثالث: المسؤولية الفردية للنفس الإنسانية.**

إن الله سبحانه الذي خلق الإنسان وكرّمه وجعله خليفة في الأرض واستعمره فيها، جعله مسؤولاً مسؤولية فردية عينية عن كل ما يصدر عنه بعد أن متّعه بالعقل، فما يبدر منه من قول وفعل إلا كان مسؤولاً عنه كما أخبر سبحانه بذلك، حيث قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ من سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّـهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]. واستمع إلى القرآن يقول في ذلك: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [آل عمران: ٣٠] فكل نفس مسؤولة عن كسبها ومرهونة بهذا الكسب ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[المدثر:٣٨]. ويقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿ لايُكَلِّفُ

اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾[البقرة:٢٨٦] وهذه المسؤولية الفردية لكل نفس تُعين بني البشر على حياتهم اليومية؛ لأن الإنسان إذا تيقن أنه مسؤول عن عمل، اجتهد في أن يكون كل ما يُقدم عليه من قول أو فعل سليماً لا يجر عليه عملاً يُحاسب عليه في الدنيا أو الآخرة، فانظر نظرة مُتدبر إلى قول الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً * وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[الإسراء: ١٢-١٥] قال صاحب فتح القدير: (الأصل فى هذا أن الله سبحانه لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصي فكتب ما علمه منهم أجمعين وقضى سعادة من علمه مطيعا وشقاوة من علمه عاصيا فصار لكل منهم ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشائه وذلك قوله (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) أي ما طار له فى علم الله، وفي قوله (كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) أي حاسباً، والنفس بمعنى الشخص)[1].

فمسؤولية الفرد الشخصية تتجلى في قوله تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...﴾ [فاطر:١٨] كما أخبر الله تعالى في آية أخرى عن مسؤولية الفرد الشخصية ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ

١ تفسير فتح القدير، ٢١٢/٣.

مَسْؤُولاً ﴾[الإسراء:٣٦] ولهذا من مشاهد يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس:٣٤-٣٧] وانظر إلى قول الله تعالى في بيان تحمُّل الإنسان لهذه المسؤولية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[ق:١٦-١٨] .

والنفس الإنسانية أنواع كما سُأبين هذا في المبحث الآتي.

المبحث الثاني
أنواع النفس الإنسانية

بيّنتُ في المبحث المتقدّم مفهوم النفس ومدلولاتها في القرآن الكريم، كما بيّنتُ إكرام الله تعالى لها ووضّحتُ معالم هذا التكريم، ثم ذكرتُ ما تبع ذلك من تحديد المسؤولية وأن ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[المدثر:٣٨] وأنّ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَت...﴾[البقرة:٢٨٦] وأنه ﴿لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾[فاطر:١٨].

وإذا علمنا أنّ هذه النفوس أنواع ولكل نوع منهجه في الحياة وبعد الممات، فيجدر بنا أن نذكر هذه الأنواع وأن نُفرد كل نوع بمطلب خاص به، وهذا ما حملنا لجعل المبحث الثاني بمطالبه الثلاثة لبيان هذه الأنواع، و بدأتُ بالمطلب الأول وهو النفس الأمَّارة استهداءً بترتيب سور القرآن الكريم، حيث بدأ بالنفس الأمارة وهي في سورة يوسف، ثم اللوامة وهي في سورة القيامة، ثم النفس المطمئنة وهي في سورة الفجر.

- **المطلب الأول: النفس الأمَّارة:**

في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣] اختلف العلماء في النفس الأمارة بالسوء، ماهي؟

المحققون قالوا إن النفس الإنسانية شيء واحد ولها صفات كثيرة، فإذا مالت إلى العالم الإلهي كانت نفساً مطمئنة، وإذا مالت إلى الشهوة والغضب كانت

أمارة بالسوء، وكونها أمارة بالسوء يُفيد المبالغة، والسبب فيه أن النفس من أول حدوثها قد ألفت المحسوسات والتذت بها وعشقتها، فأما شعورها بعالم المجردات وميلها إليه، فذلك لا يحصل إلا نادراً في حق الواحد وذلك الواحد فإنما يحصل له ذلك التجرد والانكشاف طول عمره في الأوقات النادرة فلما كان الغالب هو انجذابها إلى العالم الجسداني وكان ميلها إلى الصعود إلى العالم الأعلى نادرا لا جرم حكم عليها بكونها أمارة بالسوء، ومن الناس من زعم أن النفس المطمئنة هي النفس العقلية النطقية، وأما النفس الشهوانية والغضبية فهما مغايرتان للنفس العقلية)[1].

قريب من هذا الذي ذكره الرازي نجد أن الخازن (ت:٧٢٥هـ) قد سلك نهج سلفه الرازي، فقال في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (والسوء لفظ جامع لكل ما يهم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية والسيئة الفعلة القبيحة.

واختلفوا في النفس الأمارة بالسوء ما هي؟ وهنا أورد الخازن ما ذكر فخر الدين الرازي قبل قليل حيث قال: فالذي عليه أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم أن النفس الإنسانية واحدة ولها صفات: منها الأمارة بالسوء، ومنها اللوامة، ومنها المطمئنة فهذه الثلاث المراتب هي صفات لنفس واحدة فإذا دعت النفس إلى شهواها مالت إليها فهي النفس الأمارة بالسوء فإذا فعلتها أتت النفس اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس

---

١ تفسيرمفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، ٤٧١/١٨، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

المطمئنة، وقيل: إن النفس أمارة بالسوء بطبعها فإذا تزكت وصفت من أخلاقها الذميمة صارت مطمئنة)[1] وهي ميالة إلى فعل السوء إلا إذا أدركت العبد رحمة الله تعالى، وكما قيل في المراد بالنفس الأمارة بالسوء: (إنها كثيرة الميل الى الشهوات مستعملة في تحصيلها القوى والآلات)[2].

وقانا الله شر نفوسنا ونجَّانا من همزات الشياطين وترقّها، فإن الشيطان قد أقسم بعزة الله تعالى على إغراء الإنسان وإغوائه كما أخبر بذلك الله تعالى في كتابه الكريم ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣] فردّ الله سبحانه وتعالى عليه بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] فاللهم اجعلنا من عبادك المخلصين الذين لاسبيل إلى الشيطان ووسوسته إليهم يارب العالمين.

- **المطلب الثاني: النفس اللوامة.**

قال الله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:١-٢] تلوم على الخير لماذا لم تُكثر منه وتلوم على الشر لماذا وقعت فيه، قال الفراء: (ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قالت: هلا ازددت، وإن عملت شراً قالت: يا ليتني لم أفعل)[3].

---

١ لباب التأويل في معاني التنزيل، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن، تح: محمد علي شاهين، ٥٣٤/٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.

٢ روح المعاني، ٢/١٣.

٣ معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي وآخريْن، ٢٠٧/٣، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة.

وقد تعددت آراء المفسرين وعلماء التصوف في معنى " النفس اللوامة" وكلها متشابهة تقريباً أو تؤدي إلى المعنى نفسه بألفاظ متعددة، فيقول فخر الدين الرازي مُسنداً القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما: (إن كل نفس فإنها تلوم نفسها يوم القيامة سواء كانت برة أو فاجرة، أما البرة فلأجل أنها لم لم تزد على طاعتها، وأما الفاجرة فلأجل أنها لم لم تشتغل بالتقوى)[1].

ومما قيل في معنى النفس اللوامة: (إنها النفس المتقية التي تلوم النفس العاصية يوم القيامة بسبب أنها تركت التقوى.

وقيل إنها هي النفوس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الطاعة، وقالوا: إن الإنسان خلق ملولاً، فأي شيء طلبه إذا وجده ملّه، فحينئذ يلوم نفسه على أي شيء لم طلبته، فلكثرة هذا العمل سمي بالنفس اللوامة، ونظيره قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا**﴾ [المعارج: ١٩- ٢١])[2].

ولكل واحد من هذه الآراء مُتجه يمكن الأخذ به ولا تعارض بينها، وروى الحافظ بن كثير في كتابه تفسير القرآن العظيم مُسنداً عن الحسن البصري رضي الله عنه قوله: (إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه. ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، وإن الفاجر يمضي قدما ما يعاتب نفسه)[3].

وفي هذا تنويه بشرف النفس اللوامة وتعظيم لقدرها، يقول الآلوسي رحمه

---

١ تفسير مفاتيح الغيب، ٣٠/٧٢٠.

٢ المصدر السابق، ٣٠/٧٢٠، ٧٢١.

٣ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تح:محمد حسين، ٨/٢٨٣، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ.

الله: (أكثر الصوفية على أن النفس اللوامة فوق الإمارة وتحت المطمئنة، وقالوا: اللوامة هي التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت عن سنة الغفلة فكلما صدر عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية أخذت تلوم نفسها ونفرت عنها) [1].

نخرج مما تقدم أن النفس اللوامة مراقبة لصاحبها قائمة عليه، تُنبئه عن القول والفعل الذي لاينبغي أن يصدر عن صاحب الإيمان، ولكن بما أن البشر خطّاؤون ولم تكن العصمة إلا للأنبياء والمرسلين فقد جعل الله للمؤمنين جهاز تنبيه على الأقوال والأفعال التي ينبغي ألا تصدر منهم، ولذلك شرع الله لنا رحمة بنا وتفضلاً ونعمة منه باب الإنابة والاستغفار وأمرنا بعدم القنوط من رحمته، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر:٥٣].

ويُبين لنا رسوله الكريم ﷺ في الحديث الذي يرويه قتادة عن أنس رضي الله عنهما أن " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" [2].

- **المطلب الثالث: النفس المطمئنة:**

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ***فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]

الإطمئنان هو الاستقرار والثبات، وفي كيفية هذا الاستقرار وجوه نذكرها

---

١ تفسير روح المعاني، ١٣٧/٢٩.

٢ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تح: إبراهيم عطوة عوض، ٦٥٩/٤، ط٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥ م.

تِباعاً ، أحدها: أن تكون متيقنة بالحق، فلا يخالجها شك، وهو المراد من قوله: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] فإبراهيم عليه السلام كان مؤمناً مُتيقنا بالحق لكنه عليه السلام يُريد الاطمئنان والاستقرار على هذا الحق الذي آمن به لأنه سأل عن كيفية إحياء الموتى ولم يسأل هل تحيي الموتى ؟
وثانيها: النفس الآمنة المطمئنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن، ويشهد لهذا التفسير قراءة أبي بن كعب (يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة) وهذه الخاصة قد تحصل عند الموت عند سماع قوله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠] وتحصل عند البعث، وعند دخول الجنة)[1].
جعلنا الله ممن اكتمل إيمانهم فاطمئنّت نفوسهم .
يقول ابن كثير رحمه الله: ("ارجعي إلى ربك" أي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته، " راضية" أي في نفسها "مرضية" أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها "فادخلي في عبادي وادخلي جنتي" وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يُبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره)[2] .
وسبب طمأنينة وهدوء البال وراحة النفس هو ذكر الله تعالى كما أمرنا به في كثير من آيات القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] أي تسكن وتستقر، وذِكر الله هنا هو القرآن الكريم؛ لأنه ورد كثيراً ما ورد في الآيات القرآنية

١ تفسير مفاتيح الغيب، ٣٠/٧٢٠.
٢ تفسير ابن كثير، ٨/٣٩٠.

بهذا الإسم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر:٩] أي القرآن ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء:٥٠] (وسبب اطمئنان قلوبهم بذلك علمهم أن الآية أعظم من ذلك لايقترحون الآيات – أي المعجزات - التي يقترحها غيرهم والعدول الى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد المنزل من الذكر)[1].

وقد يقول قائل: هناك آية قرآنية تُفيد وصف الذين يذكرون الله توجل قلوبهم وتضطرب كما ورد ذلك في سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية:٢] والوَجَل من معاتبة الاضطراب ولا تنافي بين الآيتين آية الرعد وآية الأنفال؛ لأن الوّجل هنا المراد به وجلت من هيبته تعالى واستعظامه جلّت عظمته، جعلنا الله من الذين تطمئن قلوبهم بذكر الله.

إذا كان شأن النوع الثالث من أنواع النفوس وهو النفس المطمئنة، فهناك تزكية لنفوس،وهذا هو موضوع بحثنا الثالث .

١ روح المعاني، ١٤٩/١٣.

المبحث الثالث
تزكية النفس الإنسانية وأنواعها

- **المطلب الأول: مفهوم التزكية وأنواعها.**

التزكية في اللغة تُفيد الطهارة والنقاء من دنس الشرك والخبائث الحسية والمعنوية، (وفي قوله تعالى : ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: ٢] أي يطهرهم من خبث الشرك، وخبث ما عداه من الأقوال والأفعال، وعند البعض يزكيهم أي يصلحهم، يعني يدعوهم إلى ابتاع ما يصيرون به أزكياء أتقياء)[١].

إذا كان مفهوم التزكية هو الطهارة والنقاء من الأقوال والأفعال الخبائث، فلننظر إلى ما امتن الله به على عباده من إرسال رسول لهم من أنفسهم ليزكيهم ويُنقذهم مما هم فيه من الضلال والآثام، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] .

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: (الأميون هم العرب، وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر ذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام، فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شركا، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها، فبعث الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل

---

١ تفسير مفاتيح الغيب، ٥٣٨/٣٠.

شامل لجميع الخلق، فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم

ومعادهم، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم)[1].

- والتزكية نوعان :

النوع الأول: ما ذكرناه سابقاً وهو تطهير النفس من دنس الرجس والشرك وسوء القول والفعل.

وهذا النوع هو المطلوب والمرغّب فيه والذي جاء رسول الله ﷺ ليُربِّي به العرب خصوصاً والأمة المسلمة عموماً من عرب وعجم حتى ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ...﴾ [الجمعة: ٢-٣] .

وأما النوع الثاني: ما جاء في قوله تعالى في سورة النجم ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[النجم: ٣٢] .

(﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾أي لا تمدحوها ولا تبرئوها عن الآثام ولا تثنوا عليها فإن ترك تزكية النفس أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع)[2].

وبعد بيان مفهوم التزكية بنوعيها المحمودة والمذمومة، سنبيِّن وسائل تزكية النفس التي جاء بها رسول الله ﷺ وذلك في المطلب الثاني.

- **المطلب الثاني: وسائل تزكية النفس.**

يصعب علينا - بل على أي باحث – أن يُعدِّد بالاسم عوامل تزكية النفس،

---

١ تفسير ابن كثير، ١٤٢/٨.

٢ فتح القدير، ١١٣/٥.

لكني هنا سأجمل القول ثم أذكر أهم الأمثلة لهذه الوسائل، ومما يجدر ذكره جملة أنّ أي قول أو فعل مع صدق النية والإخلاص لله تعالى واتّباع ما جاء به نبينا محمد ﷺ يؤدي إلى تنقية النفس وصفائها، ومن أهم هذه الوسائل:

الإيمان بالله تعالى والتسليم الكامل له والرضا بما قسم سبحانه وتعالى.

تأمّل معي أعزك الله في هذا المقطع القرآني في صفات المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٣].

فالله سبحانه وتعالى في هذه الآيات يُبيِّن (أنّ المؤمن الحق هو الذي إذا ذكر الله وَجِل قلبه واضطرب خوفًا من الله، وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدّق بها وأيقن، فإذا فعل ذلك زاده هذا إيماناً على إيمان وتصديقا، فإن الإيمان يزيد وينقص على حسب عمل المسلم وإخلاصه، وبذلك تزكو نفسه وتطهر ولذلك قال سبحانه ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾بمعنى أنهم برؤوا من الكفر وخلصوا إلى الإيمان، وليس حالهم كالذين يؤمنون بألسنتهم وقلوبهم كافرة، وأكّد سبحانه بأنّ ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي لهؤلاء المؤمنين الذين وصف - جل ثناؤه – درجات ، وهي مراتب رفيعة وفضائل قدموها في أيام حياتهم صحب ذلك عفوٌ عن ذنوبهم وتغطية عليها، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنة وما أعدّ الله فيها لهم من مزيد المآكل والمشارب وهنيء العيش)[1].

وقال البغوي في تفسير قول الله تعالى : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: أي

---

١ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، ٣٨٥/١٣ وما بعدها، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠ م.

يقيناً.

ثم نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره قولهم: (برئوا من الكفر. قال مقاتل: حقا لا شك في إيمانهم.

وقال ابن أبي نجيح: سأل رجل الحسن فقال: أمؤمن أنت؟ فقال: إن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب، فأنا بها مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: "إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم" الآية، فلا أدري أمنهم أنا أم لا؟

وقال علقمة: كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا: من القوم؟ قالوا: نحن المؤمنون حقا، فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فأخبرناه بما قالوا، قال: فما رددتم عليهم؟ قلنا: لم نرد عليهم شيئا، قال أفلا قلتم أمن أهل الجنة أنتم؟ إن المؤمنين أهل الجنة) [1].

وجميع أعمال المسلم ينبغي أن تكون منشؤها تقوى الله تعالى، فتقوى الله مالازمت قلب امرئ إلا سعد في الدنيا والآخرة، كما أن الإيمان يزيد وينمو بالطاعة لله ورسوله ﷺ الطاعة المطلقة، وكذلك تزكو نفسه بهذا.

وعليه فإن إيمان المرء لايكتمل إلا بتأدية كل ما أمر الله به واجتناب كل ما نهى عنه ، فالإيمان بالله ورسوله وكل ما يندرج تحت هذا هو الذي يزكي نفس المؤمن ويعلوا بها الدرجات العلا ويسعد صاحبه في الدنيا والآخرة.

فإذا كانت تلك الأعمال هي أهم عوامل تزكية النفس والارتقاء بها، فما هي الأعمال التي تدنس النفس وتهبط بها إلى درجة الحيوانية؟ هذا هو الموضوع الذي سنناقشه في المطلب الثالث.

---

١ تفسير البغوي، ٣٢٦/٣.

- **المطلب الثالث: وسائل تدنيس النفس.**

إذا كان أول عامل لتزكية النفس والارتقاء بها إلى الدرجات العليا هو الإيمان بالله وكل ما يندرج تحته من الأقوال والأعمال الصالحة كما بيّنا آنفاً، فإنّ الشرك بالله والكفر به وما يندرج تحت ذلك من الأقوال والأفعال الخبيثة هو ما ينحط بالنفس ويهوي بها في أسفل السافلين لقول الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥-٦٦] .

وانظر إلى وصية لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] لأن الشرك مصدر كل قول وفعل قبيح.

وانظر بتأمل إلى صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ...﴾[الفرقان:٦٣-٦٨] فهم الذين زكت نفوسهم وطهرت قلوبهم، وذكر القرآن الكريم عقِب ذلك نقيضهم وهم الذين اتخذوا إلهاً آخر لابرهان لهم به، وذلك على طريقة التربية القائمة على الترغيب والترهيب، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ **وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩].

إن الإيمان الصادق بالله سبحانه وتعالى هو أساس صفاء النفس، والشرك

بالله هو رأس الكل كبيرة وبه تحبط الأعمال ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر: ٦٥] ومُخرجات الشرك بالله كلها خبائث تُدنِّس النفس الإنسانية، ومن هذه المخرجات:

١- **الرياء :** فإن الشخص المرائي بعمله تهبط نفسه إلى الحضيض، وإن الله سبحانه لا يقبل من القول والفعل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، فهو سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك، كما جاء في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه "[1].

٢- **الكِبر والتعالي على الناس :** قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[الإسراء:٣٧-٣٨]

٣- **الحسد :** وهو من أخطر مخرجات الشرك بالله تعالى، وهو تمني زوال النعمة عن الغير وكأنّ الحاسد يعترض على الخالق سبحانه وتعالى لِم أعطَ هذا ولِم منع هذا، وهذا هو منهج إبليس اللعين الذي أخرجه الله بسوء أفعاله ومعتقده وحسده من الجنة وجعله طريداً ملعوناً إلى يوم الدين ، فحينما أمره الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام رفض ذلك تكبراً وحسداً ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ**

---

١ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم (٢٩٨٥)، ٢٢٨٩/٤، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

﴿الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٣٤] وفي نص قرآني آخر في سورة الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأيتان:١٢-١٣] فالمتكبِّر والحاسد تلميذ إبليس، وإبليس قدوته.

وأختم هذا المطلب بهذه القصة التي أخرجها الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه وهي تحدثنا عن صفاء النفس من الغش والحسد.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ قال: "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة" فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته ماء من وضوئه معلق نعليه في يده الشمال، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة" فطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة" فطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ اتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت[1] أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليال، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تحل يميني فعلت، فقال: نعم، قال أنس: فكان عبد الله بن عمرو بن العاصي يحدث أنه بات معه ليلة أو ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل بشيء، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله، وكبّر حتى يقوم لصلاة

١ أي خاصَمَهُ. تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، ٦٢٢/٥، د.ط، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٧م.

الفجر فيسبغ الوضوء، قال عبد الله: غير أني لا أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليال كدت أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، إنه لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاث مجالس: "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة" فطلعت أنت تلك الثلاث مرات، فأردت آوي إليك فأنظر عملك، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فانصرفت عنه، فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي غلا لأحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه، قال عبد الله بن عمرو: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق)[1] .

ذكرتُ هذه القصة بكاملها لنبيّن من خلالها حرص الصحابة رضي الله عنهم على عمل الخير، ثم مايجده المسلم حين يبعد بنفسه عن الحسد.

إنّ هذا الحديث الشريف يدل على أنّ صفاء النفس من الحقد والحسد وسلامة الصدر من الضغينة والغدر في تقرير مصير الإنسان في آخرته ورفع مكانته عند الله تعالى و تقبّل عمله ولو قلّ)[2].

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها أنت وليها ومولاها .

١ السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ٣١٨/٩، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١ م.

٢ شخصية المسلم، د.محمد علي الهاشمي، ص١٦٧، ط٧، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٧م.

المبحث الرابع
مصير النفس الإنسانية وأنواعها

المطلب الأول: الموت

بعد هذه المواقف التي وقفناها مع نشاطات النفس الإنسانية المختلفة في هذه الحياة الدنيا، يجدر بنا أن ننظر إلى مصير النفس الإنسانية التي آلت وستؤول حتماً إليه وهو مغادرة الحياة الدنيا، أعني " الموت " وذلك من خلال الآيات القرآنية الآتية.

قال الله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾[آل عمران:١٨٥] وقال سبحانه مُخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[الزمر:٣٠] .

وأخبر سبحانه أن أصحاب الدنيا عنها راحلون إلى الآخرة : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٦-٢٧] وهو مصيبة كما قال الله تعالى : ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾[المائدة:١٠٦] .

والموت (ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، وهو من أعظم المصائب، فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى.

وقال القرطبي: قال علماؤنا: وأعظم منه - أي الموت- الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وقلة التفكر فيه، وترك العمل له، وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر) [١].

---

١ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ص١١٢، ط١، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٥ هـ.

ولقد نهينا في سنة نبينا محمد ﷺ عن تمني الموت، وذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "لا يتمنين أحدكم الموت: إما محسناً فلعله أن يزداد خيرا، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب"[1].

وكثيراً ما حثّ النبي الكريم ﷺ المسلمين على ذكر الموت بغية أن يعملوا ويستعدوا له، فمن ذلك قوله ﷺ في الحديث الذي يرويه شداد بن أوس، عن النبي ﷺ قال: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله"[2].

يقول أبو عبدالله القرطبي في كتاب التذكرة الذي ذكرناه آنفاً: (أن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية، والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة، ونعمة ومحنة، فإن كان في حال ضيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه، فإنه لا يدوم، والموت أصعب منه، أو في حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها، والسكون إليه)[3].

ولنختم هذا المطلب بهذه العبارة التي أوردها أبو عبدالله القرطبي عن يزيد الرقاشي وفيها عبرة لمن يعتبر، قال: (كان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد، من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى

---

١ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، حديث رقم (٥٦٧٣)، ١٢١/٧، ط١، دار طوق النجاة، الرياض، ١٤٢٢هـ.

٢ سنن الترمذي، حديث رقم (٢٤٥٩)، ٦٣٨/٤.

٣ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص١٢٣.

عنك ربك الموت؟ ثم يقول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشياً عليه) [1].

ومن رحمة الله بالإنسان أنه سبحانه أخفى عنه أجله متى يموت؟ وفي أي مكان يموت؟

وبأي سبب يموت؟ حتى تستمر الحياة الدنيا وتعمر الأرض التي أنزل الله عليها الإنسان واستعمره فيها، فلو علم الإنسان بأجله لفسدت الحياة الدنيا، فسبحان الخالق اللطيف، اللهم طيبنا للموت وطيِّب الموت لنا.

فإذا كان هذا الموت وأخباره فلنذهب مع رحلة النفس الإنسانية إلى مشهد آخر من مشاهد القيامة، وهو :

المطلب الثاني:

البعث بعد الموت والحساب

وهو موقف آخر من مواقف يوم الدين، إنه البعث بعد الموت ونشر للموتى من قبورهم يوم ينفخ الملك المكلف بذلك في الصور حين أخبر الله سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨] .

وقد أنكر ذلك الكافرون واستهزؤوا برسول الله ﷺ واستخفوا به كما ورد

---

١ المصدر السابق، ص١٢٤.

ذلك كثيراً في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى في سورة يس: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الآيات:٧٨-٨١] .

فالذي خلق اللإنسان من عدم قادر على أن يُعيده بأدق تفاصيله وأخصّ صفاته التي وهبها له.

يقول أبو السعود رحمه الله: (أي نجمع سلامياته ونضم بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوي أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم به خلقه) [١].

وفي تعليقه على النص القرآني ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[يس:٧٨] قال شارح العقيدة الطحاوية: (إنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جواباً، فكان في قوله " وَنَسِيَ خَلْقَهُ" ما وفّى بالجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة، ولمّا أراد من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها قال " قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ" فأحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قدر على هذه قادر على تلك، وإنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عاجزاً عن الأولى أعجز وأعجز) [٢].

---

١ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، ٦٥/٩، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢ شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تح: د. عبدالله التركي، ٥٩٤/٤، مؤسسة الرسالة، بيروت.

وهو استدلال من الوضوح والجلاء بحيث لا يحتاج إلى مزيد من التفكير؛ وذلك لأن المنكرين يُقرون بالبدء أو الخلق الأول ويعترفون به لأنه أمر محسوس ومُشاهد، فلا يستطيعون إنكار أنا كنا أمواتاً ثم أحيانا الله وأوجدنا بعد عدم ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨]

بل إنه في عُر ف البشر: من خلق في المرة الأولى يكون إعادة الخلق مرة أخرى أسهل وأهون عليه، ولله المثل الأعلى، ولذلك يقول سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]

- الحشر: ثم بعد بعث الموتى من قبورهم أحياءً يبدأ الحشر، وهو سوق الخلائق جميعا إلى الموقف لفصل القضاء بينهم، ويتم ذلك كما خلقهم الله أول مرة.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام:٩٤] ويتم حشر الناس حفاة "غير منقلين" عُراة "غير مُكتسين" غرلاً "غير مختونين"، ففي صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: " تحشرون حفاةً عراةً غرلاً" قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: "الأمر أشد من أن يهمهم ذاك"[1].

ثم هناك يكون الحساب ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾

١ كتاب الرقائق، باب كيف الحشر، حديث رقم (٦٥٢٧)، ١٠٩/٨.

[الأنبياء:٤٧].

وفي يوم الحساب العدل المطلق الذي لا تُظلم فيه نفس ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٣-١٤] والشهود على الإنسان من الإنسان نفسه ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور:٢٤-٢٥] .

بعد هذه المواقف من اليوم الآخر المتعلقة بالنفس الإنسانية والتي تنقلنا معها من موقف لآخر، يجدر بنا أن نتأمل المصير الذي ستؤول إليه النفس الإنسانية، وهذا في المطلب الأخير من هذا البحث.

- **المطلب الثالث: المصير إما إلى جنة أو إلى نار.**

نعم هذا مصير النفس الإنسانية، حيث ورد بيانه في كثير من آيات القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى:﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٣٠] .

حيث يذكّر الله تعالى عباده بيوم القيامة ليقصروا عن الشر ويرعوا من الظلم والفساد، فيقول: (اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً - أي حاضراً- يُجزى به، وما عملت من سوء وشر حاضراً أيضاً يسوؤها مرآه، فتود بكل قلبها لو أن بينها وبينه غاية من المسافة لا تُدرك)[1].

١ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبوبكر الجزائري، ص١٩٧، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م.

وفي بيان تحديد مصير هذه النفس يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧] .

فالناس فريقان: فريق مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومات على ذلك فهو في الجنة وفريق ثانٍ كافر بربه مُكذب لرسله فهو في النار.

وانظر عزيزي القارئ إلى آيات سورة النازعات: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى * فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:٣٤-٤١] .

وانظر إلى بيان حال المؤمن والكافر والمصير الذي يصير إليه كل صنف، وأنا أحيلك إلى سورة الواقعة الآيات [١٠-٤٠] فهذه الآيات في وصف ما أعدّه الله للمؤمنين، والآيات من [٤١-٥٦] في وصف ما أعده الله للكافرين المكذبين.

ولنذهب لمعايشة هذا الموقف بعد نفخ الصور من الأولى والثانية، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر:٦٨-٧٠] .

حكم الله سبحانه وتعالى بينهم بالحق ووفّى كل نفس ما عملت من خير أو شر، وهو سبحانه وتعالى أعلم بما يفعلون حتى من العاملين أنفسهم، لذا سيكون الحساب عدلاً لا جور فيه ولا ظلم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ [النساء:٦].

ثم بعد ذلك سيق كل فريق بما عُدَّ له كما أخبر سبحانه بذلك: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٧١-٧٢].

ثم جاء دور المتقين المؤمنين وكان الترحيب بهم من قبل ملائكة الرحمة: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ *وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر:٧٣-٧٥].

وبهذا يكون مصير كل فريق قد بان إما إلى جنة عرضها السموات والأرض، وإما إلى نار كلما سُئلت هل امتلأت تطلب المزيد ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق:٣٠].

وأخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم "[1].

وبهذا ظهر لنا مصير هذه النفس الإنسانية، فهي إما إلى جنة أبداً وأما إلى

١ صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم (٦٥٤٨)، ١١٣/٨.

نار أبداً، جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة وباعد بيننا وبين النار.
والحمدلله رب العالمين.

- **خاتــمة :**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهذه خاتمة البحث الموسوم بـ (النفس الإنسانية في القرآن الكريم - دراسة موضوعية) تناولت فيه مفهوم النفس في اللغة والاصطلاح، ومدلول النفس في القرآن الكريم.

كما بينت مكانة هذه النفس عند الله تعالى وتكريمه لها ومسؤولية هذه النفس.

وتطرق البحث إلى أنواع النفوس : الأمارة واللوامة والمطمئنة، وبيّن معنى كل واحدة من هؤلاء.

ثم تطرق البحث إلى تزكية النفس، فبيّن معنى التزكية وعواملها، وهي نوعان: تزكية محمودة مرغب بها، وأخرى مذمومة.

كما تناول البحث المصير المحتوم الذي ستؤول إليه النفس وهو الموت ثم البعث والحساب، وأخيراً المستقر الأخير إما إلى جنة وإما إلى نار.

وهذه الدراسة كانت في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

هذا والله أعلم، والحمد لله أولاً وأخيراً.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣. الإنسان والخلافة في الأرض، ط١، دار الشروق، القاهرة.

٤. الإنسان والخلافة في الأرض، محمد أمين جبر، ط١، دار الشروق، بيروت.

٥. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبوبكر الجزائري، ط١، المكتبة العصرية ، بيروت، ٢٠٠٣م.

٦. تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، ط١، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت، ١٩٨٧م.

٧. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط١، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٥ هـ.

٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تح:محمد حسين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ.

٩. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٠. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠ م .

١١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط١، دار

الشعب، القاهرة.
١٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط١، دار السعادة، القاهرة، ١٩٧٤م.
١٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت
١٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تح: إبراهيم عطوة عوض، ط٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥ م .
١٥. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١ م.
١٦. شخصية المسلم، د.محمد علي الهاشمي، ط٧، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٧م.
١٧. شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تح: د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت .
١٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة ، الرياض، ١٤٢٢هـ .
١٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٠. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط١، دار الفكر، بيروت.
٢١. لباب التأويل في معاني التنزيل، أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن، تح: محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٢٢. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تح:يوسف الشيخ محمد، ط٥،

المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩٩م.

٢٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النمر وآخريْن، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م.

٢٤. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي وآخريْن، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

٢٥. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٢٦. من علم النفس القرآني، عدنان الشريف، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٤م.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٣٦٩
مقدمة	٣٧١
المبحث الأول: مفهوم النفس الإنسانية	٣٧٤
المطلب الأول: مفهوم النفس في اللغة والاصطلاح	٣٧٤
المطلب الثاني: مكانة النفس الإنسانية عند الله تعالى	٣٧٨
المطلب الثالث: المسؤولية الفردية للنفس الإنسانية	٣٨٠
المبحث الثاني: أنواع النفس الإنسانية	٣٨٣
المطلب الأول: النفس الأمَّارة	٣٨٣
المطلب الثاني: اللوامة	٣٨٥
المطلب الثالث: النفس المطمئنة	٣٨٧
المبحث الثالث: تزكية النفس الإنسانية وأنواعها	٣٩٠
المطلب الأول: مفهوم التزكية وأنواعها	٣٩٠
المطلب الثاني: وسائل تزكية النفس	٣٩١
المطلب الثالث: وسائل تدنيس النفس	٣٩٤
المبحث الرابع: مصير النفس الإنسانية وأنواعها	٣٩٨
المطلب الأول: الموت	٣٩٨
المطلب الثاني: البعث بعد الموت والحساب	٤٠٠
المطلب الثالث: المصير إما إلى جنة أو إلى نار	٤٠٣

الموضوع **الصفحة**

خاتمة ٤٠٧
المصادر والمراجع ٤٠٨
فهرس الموضوعات ٤١١

* * *